النظام الزمني وتقنياته في رواية "يسار بن الأعسر" لروائي الأزهر عطية

عبـاد عبـلة و د. عمرو عيلان

جامعة العربي التبسي – تبسة –

البريد الإلكتروني : adababla1984@gmail.com

ملخص:

يتناول هذا المقال دراسة تحليلية لتقنيات الزمن السردي داخل رواية "يسار بن الأعسر " ، والهدف منها الكشف عن سر استعمال هذه التقنيات الزمنية، باعتبار أن للزمن دور فعال في تشكيل المادة الحكائية ومدى تفاعله بين الشخصيات، وتشابك الأحداث ضمن المتن الروائي. ومن أهم هذه التقنيات : السرعة السردية : التلخيص، الحذف / إبطاء السرد : المشهد، الوقفة الوصفية.

الكلمات المفتاحية: السرعة السردية، الحدف، الوصف

المقدمة:

يعتبر الزمن من أهم المباحث التي تناولها الباحثون والنقاد، حيث نجد أول من مارس هذه التقنية الزمنية الشكلانيون الروس،حيث فرقوا بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي، لهذا تعددت مفاهيم وتصورات الزمن من باحث إلى أخر، ومن أبرزهم: ما يقوله ألان روب غرييه عن الزمن بأنه " الزمن قد أصبح منذ أعمال مارسيل بروست وكافكا هو الشخصية الرئيسية في الرواية المعاصرة بفضل استعمال العودة إلى الماضي وقطع التسلسل الزمني وباقي التكوينات الزمنية التي كانت لها مكانة مرموقة في تكوين السرد وبناء معماره" [(1)].

كما أن الزمن يتجلى في لغة الوعي واللاوعي، فهو كامن داخل اللغة، كما قال جورج لوكاش " إن أعظم انفصام بين الفكرة والواقع هو الزمان" ،ولعله بذلك يقصد زمن فعل السرد، وزمن مادة السرد، والفرق بينهما كما يرى بول ريكور" أن الأول زمن متعاقب يساوي عدد الصفحات أما الثاني فهو " زمنية الحياة" إنها عملية حياة، والحياة لا تسرد نفسها " [(2)] .

كما يدعو جان بويون " إلى ضرورة إحترام خاصية الزمن في دراسة العمل الروائي، بل إنه ذهب إلى حد أن جعل فهم أي عمل أدبي متوقفا على فهم وجوده في الزمن " [(3)].

أما (رولان بارت- . Rolan partt) فيوضح في مقدمته اللامعة حول التحليل البنيوي للسرد(1966)، عن موضع الزمن السردي في رأيه هو« ليس سوى زمن دلالي،أما الزمن الحقيقي فهو وهم مرجعي واقعي»[4] .

كما يعتبر الزمن عنصر بارز داخل النص الروائي، فقد اعتبره جيرار أن بإمكاننا سرد قصة دون تحديد المكان التي تجري فيه الأحداث على مسافة تبعد أو تقرب عن مكان وقوعها، لكنه يكاد يكون مستحيلا سرد أحداث دون تعيين الإطار الزمني لها[5] .من خلال المفاهيم السابقة للزمن، سنتناول بالتنظير والإجراء أهم عناصر الزمن وهي : النظام الزمني و تقنياته.

1-النظام الزمني في رواية " يسار بن الأعسر" :

وهو ترتيب زمني للحكاية مقارنتها بنظام ترتيب الأحداث، يتجلى ذلك في مظهرين هما :الاسترجاع / الإستباق.

أ-الاسترجاع : هو " تقنية سردية تتمثل في إيراد حدث سابق للنقطة الزمنية التي بلغها السرد"[6]،أي أنه دائرة النص حيث يقوم الراوي بالتحايل على النظام الزمني، وذلك بانقطاع الحاضر واستدعاء الماضي وسرد أحداثه.

كما يعرفه سيزا قاسم بأنه " استذكار حدث سابق للحدث الزمني الذي بلغته العملية السردية فالراوي هنا يترك مستوى القص الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية ويرويها في لحظة لاحقة لحدوثه[7].

والهدف من الاسترجاع هو الكشف عن بعض السلوكات والمواقف التي تتميز بها الشخصيات داخل النص الروائي، ومعرفة كيف تسير الأحداث وفق هذا النمط.

ونماذج من هذا الاستذكار أو الاسترجاع كثيرة خصصنا بعضا منها ترجع إلى ذكريات طفولة "الهامل" وفي قوله: « لقد كان معلم المدرسة يحب اليسراويين منا، ويصفهم بالعبقرية. وكان كلما تحدث عن ذلك، نظر إلي مطولا.وقد قال لي، ذات مرة، وهو يتجول بين الصفوف: – إنك تشبه اليسراويين. »[8].

وفي قوله يصف حراس الأمن : « حين كنا صغارا، كنا نمكث واقفين مددا طويلة، نتفرج على أولئك الحراس، معجبين بأزيائهم، وبحركاتهم التي يقومون بها بين الحين وآخر، بعضهم يظل ثابتا كالتماثيل، وبعضهم يتحرك ببطء كمن أنهكه التعب. »[9].

إن استرجاع الذكريات من طرف الشخصية، لها علاقة بالمشاعر والأحاسيس قد تدل على الحقد الحزن الفرح إلى غير ذلك .

ب-الاستباق : هو عكس الاستذكار أي أن " توقع حادث ما والتكهن بمستقبل إحدى الشخصيات كما أنها قد تأتي على شكل إعلان كما تؤول إليه مصائر الشخصيات مثل الإشارة إلى إحتمال موت أو مرض أو زوال بعض الشخوص "[10].

كما أنه يدل على « كل مقطع حكائي يسرد أحداثا سابقة لأوانها أو يمكن توقع حدوثها، وعلى المستوى الوظيفي تعمل الاستشرافات على تمهيد أو توطئة الأحداث لأحداث متوقعة الحدوث وحمل المتلقي على إنتظارها »[11].

أما حسن البحراوي قال أنه " يروي أحداثا سابقة عن أوانها، ويكون ذلك بالقفز على فترة ما من زمن القصة وتجاوز النقطة التي وصل إليها الخطاب، باستباق الأحداث والتطلع إلى ما هو متوقع أو محتمل الحدوث " [12].

والملاحظ في رواية " يسار بن الأعسر " أن نماذج الاستباق قليلة، نادرا ما نجد مقطع آو مقطعين ومن وبينها :

في قول السارد وهو يستبق موته ويتخيل جنازته كيف ستكون « تحسست يده كفنه الذي كان يحمله. وحينها، شعر بشيء من الارتياح والاطمئنان.(...) وتقدم، وقد غمره حزن شديد ، ليسلم أشياءه الخاصة، تلك التي حملها معه؛ لوحته الزيتية الفريدة من نوعها، والتي رسم فيها مشهد جنازته»[13].

ومن خلال تتبع نماذج الاسترجاع والاستباق، نلاحظ هيمنة الاسترجاع كخاصية زمنية لها علاقة بالذكريات الماضية، كما نجدهما يختلفان عن بعضهما البعض بحيث أن الاسترجاع هدفه ملء الفجوات والثغرات التي تبقى محل تساؤل القارئ، أما الاستباق هدفه خلق نوعا من الترقب والانتظار لدى القارئ عما سيحدث.

* **المؤشرات الزمنية في الرواية** : تعتبر المؤشرات جانب خاص يعتمد عليه الروائي ليقارن عالمه الخيالي بالواقع .

وفي رواية " يسار بن الأعسر" نجد أن الروائي مزج بين النهار والليل لأن بطل الرواية تجده دائما متجولا أي هاملا بين شوارع المدينة في الليل أو في النهار.

وفي قوله: « ها قد انقضى نهار آخر من نهاراتي الجديدة التي بدأت أعيشها في هذه المدينة منذ عودتي إليها. وأقبل الليل بأسواره ومفجأته، وأحلامه، وكوابيسه المزعجة»[14].

وقد برز مؤشر أخر هو عنصر المطر، « ثم راحت الأمطار تتهاطل بغزارة، تغسل المدينة وشوارعها، وساحاتها من أوساخها التي تراكمت في كل مكان. »[15].

كما وظف فصل الربيع وفي قوله: « كانت عودة الهامل، ذات يوم ربيعي مشرق وجميل.ولكنه كان يوما حزينا وكئيبا، رغم أن ليلته كانت مقمرة، ومؤنسة ومسلية مع المتسوقين، وهم يعسكرون خارج أسوار المدينة، وأمام باب السوق منتظرين قدوم الصباح»[16].

كما وظف فصل الخريف في قوله : « كان الجو حارا، إلا أن الأمطار كانت غزيرة جدا. إنه إشعار ببداية التحول الفصلي، وما أصعب التحولات. إنه فصل الخريف قد عاد هو أيضا، وتلك كانت إحدى علاماته. »[17].

إن البناء الزمني لا يتشكل فقط من خلال الاسترجاع والاستباق، بل يتعدى إلى عناصر أخرى وهي : تسريع السرد وتعطيل السرد.

2–تقنيات الزمن:

أ – تسريع السرد :

1–التلخيص : هو تقنية زمنية سردية يراد بها المقطع الصغير من السرد،وهو أيضا " وسيلة الانتقال الأكثر طبيعية من المشهد إلى أخر، أي الخلفية التي يبرز عليها المشهدان"[18]. أما جيرار جنيت يرى أنها " السرد في بضع فقرات أو بعض صفحات لعدة أيام أو شهور أو سنوات من الوجود، دون تفاصيل أعمال أو أقوال.... فمن الواضح أن المجمل " الخلاصة " ظل حتى نهاية القرن التاسع عشر وسيلة الانتقال الأكثر شيوعا " [19].

ومن خلال تحليلنا لرواية " يسار بن الأعسر " استخرجنا نموذجا يوضح لنا اختزال فترة طويلة من رحلته دون أن يلجأ إلى التفاصل وفي قوله : « لقد تشردت سنوات، عديدة، تجولت خلالها طوعا وكرها، في كثير من بقاع العالم، ورأيت ما لم يره غيري، وعرفت أشياء كثيرة لم يعرفها الكثير من الناس. »[20].

2–الحذف : هو تقنية زمنية خاصة بتسريع حركة السرد واختصاره، هذا ما عبر عنه جيرار جنيت بقوله " لنتحدث قليلا عن الحذف ولا نقصد هنا طبعا إلا الحذف بمعناه الحصري أو الحذف الزمني، مهملين تلك الإسقاطات الجانبية التي احتفظنا لها باسم النقصان"[21].

كما يمكن للقطع أو الحذف، أن يتخذ أشكالا مختلفة منها: القطع الصريح، والحذف الضمني، والحذف الافتراضي.

ومما سبق ذكره استخرجنا بعض من النماذج من رواية " يسار بن الأعسر " و هي :

« كذلك كنت ذات يوم، وكذلك مازالت . وإني لأتذكر الآن، ذلك اليوم الذي غادرتها فيه منذ سنوات»[22].

* « مازالت كما عرفتها في الأعوام الخوالي، وكما تركتها منذ سنوات. إنها تمتطي أولى الروابي في جنوب المدينة »[23].

* « فبعد أربع وعشرين سنة كاملة، قضيتها في الحل والترحال، بين مدن أعرفها، وأخرى لا أعرفها، أعاني مرارة الاغتراب »[24]، فهنا يوضح لنا عودته من الغربة التي دامت مدة طويلة لم يرى فيها هذه المدينة التي ترعرع فيها.

هذه النماذج توضح لنا مدى تطبيق الأزهر عطية لعنصر الحذف في الرواية لاختصار الأحداث دون اللجوء لتفاصيلها، وهذا راجع لسبب يتعلق بحياته الماضية المريرة.

من خلال ما سبق، نستنتج أن تقنية تسريع السرد أضفت على النص الروائي تنوعا سرديا،حيث سهلت لنا معرفة الأحداث بطريقة مختصرة ورائعة دون الدخول إلى تفاصيل لا يمكن الخروج منها، فهي تقنية بارزة عند الكتاب المعاصرين .

ب– تعطيل السرد :

1 – المشهد : هو عبارة عن حوار يدور بين شخصيتان، وهو نقيض التلخيص والحذف، كما " يعد المشهد مساحة زمنية نصية مناظرة للملخص، فإذا كان الملخص تسريعا للسرد، فإن المشهد هو تفصيل وإبطاء له " [25].

أما في رواية " يسار بن الأعسر " اخترنا هذا المشهد الذي يدور بين البائع والهامل حول شراء كفنه قبل موته، وفي قوله:

* « – أريدك أن تختار لي، وبمعرفتك الخاصة ،أجود ما عندك من هذا القماش، يكون صالحا لكفن، على أن يكون بلون أزرق وجميل.

– وهل المتوفى رجل، أم امرأة؟ وهل هو كبير؟، أم صغير؟

– لم يتوف بعد. ولكنه رجل.

– هل عزمت على قتل شخص ما؟

– لا . إنه لشخصي الكريم. أريد أن أهيئ كفني بنفسي قبل أن أموت، فذلك يشعرني بالراحة والاطمئنان.

– لا تقل لي بأنك عازم على الانتحار.

– لا، أبدا. »[26].

وفي مقطع أخر حوار جرى بين الهامل والشاب وفي قوله:

* « ولما كان خارجا، التفت إلى الحلاق الشاب، ثم سأله وقد تكلف شيئا من الابتسام واللطف.

– ألست ابن الحاج مهنّا؟

– بلى. أكنت تعرفه؟

– كان حلاقي، وكنت أتمنى أن أجده هنا. لقد اشتقت إليه كثيرا. فأنا لم ألتق به منذ أربع وعشرين سنة كاملة.

– رحمه الله .

– كل من عليها فان. رحمه الله عليه . »[27].

والملاحظ في هذه النماذج ، يرى أن تقنية المشهد لعبت دورا فنيا في النص الروائي، حيث جعلت نفسها تنبئ بتعطيل الزمن النصي إلى أن ينتهي الحوار النصي، وبعدها يستعيد المسار السردي وتيرته.

2-الوقفة الوصفية :

هي توقف الأحداث واستمرار الخطاب السردي عن طريق الوصف حيث عرفتها مها القصراوي بأنها " تعمل الوقفة الوصفية مع المشهد على إبطاء زمن السرد الروائي، حيث يتم تعطيل زمن الحكاية بالاستراحة الزمنية، ليتسع بذلك زمن الخطاب، ويمتد فالوصف وقوف بالنسبة للخطاب" [28].

كما الوصف باعتباره أحد التقنيات الزمنية فهو يلعب دورا هاما في تعطيل المسار السردي، حيث نجد انعدام التوازي بين زمن القصة وزمن السرد.

وقد اخترنا بعض من النماذج من رواية " يسار بن الأعسر" منها عن الشخصيات والأماكن وفي قول السارد :

* « أما الخط الذي سأكتب به المرثية، فسيكون مغربيا أصيلا وجميلا، الدال أبو جناحين، والكاف عنق الجمل، والعين فم الذئب، والنون شكل الهلال، .»[29].

* « كان شابا، وكان قويا، وكان مرحا. ومن عينيه الحادتين تلوح شرارة الذكاء والفطنة. وعلى وجهه تطفو ابتسامة مصطنعة، لا يكتشف سرها وتكلفها إلا صاحبها وصانعها.»[30].

* « كان رجلا مهيبا، بعينين حادتين، زرقاوين كلون السماء الصافية في يوم ربيعي جميل، وقامة فارعة كأشجار النخيل الباسقة، تشمخ وتقاوم، باستمرار، كل عنيد. وشعر بلون القمح، يتماوج كالسنابل تداعبها الرياح. ذلك هو عرابي الذي كان.»[31].

من خلال هذه النماذج، فإن هذه التقنية لم تأثر على وتيرة الأحداث بل جعلتها تسير بشكل بطيء، حيث منحت لراوي فرصة التحليل والوصف وصورة فتوغرافية لبعض الأماكن والشخصيات البارزة في التاريخ .

الخاتمة :

لعله بعد التحليل المتواضع لرواية " يسار بن الأعسر " توصلنا لبعض النتائج أهمها:

* استعراض الأزهر عطية لأهم التقنيات الزمنية الواردة في روايته بما تحمله من سمات وتجانس، كما أنها مبنية على تردد الأحداث في زمنين: الزمن الراهن، وزمن الواقع المعيشي، والزمن الماضي هو زمن تاريخي.

*سيطرة نظام الإسترجاع على الرواية هذا دليل الحالة النفسية التي يمر بها الروائي من أحداث عاشها في زمن طفولته .

* شكلت هذه التقنيات الزمنية تطورا ونمو في المسار السردي خاصة ، عنصري المشهد والوقفة الوصفية، حيث كشفتا عن هوية بعض الشخصيات قد تكون تاريخية أم وطنية.

الهوامش :

1-ألان روب غرييه، نحو رواية جديدة، ترجمة مصطفى إبراهيم ، دار المعارف، القاهرة، دت، ص: 134.
2-انظر: بول ريكور، الزمان والسرد، ترجمة فلاح رحم ،دار أويا، طرابلس،ط1، 2006،ص:137-138.
3-حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي،المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص: 109-110.
4- المرجع نفسه، ص: 111.
5-المرجع نفسه، ص: 116.
6-المرزوقي سمير/ جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، دار التونسية للنشر، تونس، 1985، ص: 80.
7-سيزا قاسم، بناء الرواية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ،1984،ص:54.
8-الأزهر عطية. يسار بن الأعسر، وزارة الثقافة ، ط1 ، الجزائر ، 2012 ،ص: 20.
9-المصدر نفسه،ص:162.
10-حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي،ص:132.
11-علي هيثم الحاج، الزمن النوعي وإشكاليات النوع السردي، مؤسسة الانتشار العربي،لبنان، بيروت، ط1، 2008،ص:128.
12- حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي،ص:122.
13- الأزهر عطية. يسار بن الأعسر،ص:166.
14-المصدر نفسه، ص: 96 .
15- المصدر نفسه، ص:97.
16- المصدر نفسه، ص:45.
17- المصدر نفسه، ص:97.
18- أحمد السماوي، فن السرد في قصص طه حسين، كلية الأداب والعلوم الإنسانية،سفاقص،ص:134.
19-جيرار جنيت، خطاب الحكاية، بحث في االمنهج ،المجلد الثالث، ترجمة محمّد معتصم،الهيئة العامة للمطابع، القاهرة،ط2، 2000، ص: 109.
20- الأزهر عطية. يسار بن الأعسر،ص:22 .
21- جيرار جنيت، خطاب الحكاية،ص:117.
22- الأزهر عطية. يسار بن الأعسر،ص:14 .
23- المصدر نفسه، ص:32 .
24- المصدر نفسه، ص:64.
25- عمر عيلان. في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق، 2008 ،ص:136 .
26- الأزهر عطية. يسار بن الأعسر،ص:92 .
27- المصدر نفسه، ص:152 .
28- مها القصراوي.الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان ط1،2004،ص: 247.
29- الأزهر عطية. يسار بن الأعسر،ص:93.
30- المصدر نفسه، ص:103 .
31- المصدر نفسه، ص:104.